وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

مناهج المفسرين

إعداد

اللجنة العلمية

د. ماجد محمد خليوة

المرحلة الثانية / الفصل الأول

٢٠١٨ م – ٢٠١٩م

مناهج المفسرين

تعريف

تشتق كلمة " منهج " من الفعل "نهج" أي سلك طريقا معينا، وبالتالي فإن كلمة" المنهج " تعني الطريق والسبيل، ولذلك كثيرا ما يقال أن طرق البحث مرادف لمناهج البحث.

وترجمة كلمة " منهج " باللغة الإنجليزية ترجع إلى أصل يوناني وتعني البحث أو النظر أو المعرفة، والمعنى الاشتقاقي لها يدل على الطريقة أو المنهج الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب.

ويعرف العلماء" المنهج " بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون.

ومن هذا المنطلق، يكون هناك اتجاهان للمناهج من حيث اختلاف الهدف، أحدهما يكشف عن الحقيقة والآخر يقيم البراهين عليها[1]. عند المفسرين

أما ارتباط مصطلح "منهج" بأعمال المفسرين فهي تعني البحث في الأسس الفكرية والمذهبية التي ارتضاها المفسر أو تأثر بها فأقام عليها عملية تفسيره للقرآن الكريم، وهو ما ألمح إليه الزركشي في قوله ": وقد أكثر الناس فيه من الموضوعاتما بين مختصر ومبسوط، وكلهم، وكلهم يقتر على الفن الذي يغلب عليه فالزجاج والواحدي يغلب عليهما الغريب ، والثعلبي يغلب عليه القصص ، والزمخشري علم البيان، والإمام الفخر وعلم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية[2].

دواعي البحث في مناهج المفسرين

هناك دواع كثيرة للبحث في مناهج المفسرين، ونذكر منها:

1 . أن القرءان الكريم قد لقي من الدراسة والبحث والتفسير ما لا يمكن أن يحيط به طالب علم بحال من الأحوال، فكان من باب تقريب هذه المادة العلمية إلى الباحثين إطلاع طالب العلم على مناهج أصحابها ومسالكهم في كتبهم لتيسير الإفادة منها .

---

[1] . البحث العلمي حرفة وفن، د/منصور نعمان ود/ غسان طيب النمري، الأردن، 1998.

[2] . المصدر السابق:13/1.

2 . أن تفسير القرءان الكريم بحر زاخر لا شاطئ له، ولذا نجد كل مفسر قد ركز على جانب أو جوانب معينة بحسب ما تخصص فيه من العلوم، فكان لزاما علينا إطلاع طالب العلم على طبيعة هذه التفاسير والجوانب التي اهتمت بها على حساب جوانب أخرى، وهذا كثيرا ما يساعد الباحث ويوفر عليه الجهد والوقت، فيعرف كل مسألة في التفسير ومظانها.

3 . أن القرءان الكريم يفسره اللسان كما يفسره الزمان، ولذلك نلحظ بعضا من أقوال المفسرين مما كان يعد تفسيرا لبعض آيات القرءان أثبت الزمن أنه لا يمكن أن يكون مثل ذلك تفسيرا لكتاب الله تعالى، ومثال ذلك قول القرطبي في تفسير قوله تعالى :"وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا .."[1] حيث قال :(وفي هذا دليل على بطلان قول من قال بكروية الأرض من علماء الهيئة وغيرهم..) وفي تفسير الكشاف للزمخشري نجده يقف عند مثل قوله تعالى:"وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم"[2] فيقرر أن هذا دليل على فساد قول علماء الهيئة بأن البحر هو مصدر الماء والمطر ، ويرى أن مصدره السماء..

4 . إن أغلب ما وضع من كتب التفسير لا يخلو أن يكون قد كتبه أرباب نحل ومذاهب فكرية واعتقادية لا تسلم من النقد والطعن عليها، وقد وضعوا هذه التفاسير بغرض التمكين لمذاهبهم والترويج لها مما يستدعي تتبع هذه الأعمال والتنبيه على ما فيها من محاذير ومفاسد.

5 . أن هذه التفاسير على اختلافها وتفاوتها من حيث الكمال فإنها لا تخلو جميعا من النقائص والثغرات، وأن هذه النقائص والثغرات قد تبلغ أحيانا درجة من الدقة والخفاء يصعب معها التنبه إليها، وهذا الإمام الطيبي يقول في مقدمة حاشيته على كشاف الزمخشري :لقد استخرجت اعتزالاته بالمناقيش ..ويريد بذلك شدة خفائها والتباسها بغيرها من الآراء الكلامية، ومن هنا كان من الواجب تنبيه طالب العلم إلى هذه المزالق الوعرة والمسالك الصعبة.

---

[1] . انظر تفسير هذه الآية ، سورة الرعد :3 ، في الجامع لحكام القرءان.

[2] . سورة البقرة الآية: 22.

تعريف التفسير :

التفسير في اللغة الإيضاح والتبيين، وفي الاصطلاح :(هو علم يبحث فيه عن القرءان الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[1]

وقيل (إنه علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه ، واستخراج حكمه وأحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات..[2]

أما التأويل فهو في أشهر معانيه عند المتقدمين مرادف للتفسير، وقد عرفه أهل العلم بتعاريف أخرى، منها أن التفسير ما كان راجعا للرواية والتأويل ما كان راجعا للدراية، وقيل إن التفسير ما تعلق بنص واحد واحتمل معنى واحدا والتأويل ما تعلق بنص واحد واحتمل أكثر من معنى.

أما عند المتكلمين فهو صرف اللفظ عن معنى ظاهر إلى معنى خفي لدليل يقترن به[3].

---

[1] . عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرءان 3/2.

[2] .الزركشي ، البرهان في علوم القرءان، دار الفكر، ط3 ، 13/1.

[3] . انظر خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، دمشق ط2 ، 1986، ص: 52.

والتزامه ومنهجيته، ونتاجه وجهوده، وهدفه من التفسير، ومنهجه فيه، وتقويم ذلك التفسير، ومعرفة ما فيه من خيرٍ وفائدة، وجِدَّةٍ وإضافة، ومعرفةِ ما عليه من مآخذ.

غيرُ مقبولٍ من دارسٍ في علم (التفسير والمفسرين) أنْ لا يعرفَ عن الإمام (محمد بن جرير بن يزيد الطبري) ـ مثلاً ـ إلاَّ أنه (الطبري) فقط. وأنْ لا يعرفَ تفسيرَه: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) إلاَّ أنَّه (تفسير الطبري) فقط! وهكذا باقي الأئمةِ المفسرين وتفاسيرِهم!.

إنَّ (مناهج المفسرين) تقدمُ للدارسِ القواعدَ والآدابَ والضوابطَ والتوجيهات التي لابدَّ منها في عالم التفسير، كما تقدمُ له الأسسَ والأصولَ المنهجيةَ الموضوعيةَ التي لابدَّ من الانطلاقِ منها في عالم التفسير، وهي تُحَدِّثُ الدارسَ عن نشأةِ علم التفسير، ومدارسِ التفسير واتجاهاته في التاريخ الإسلامي، وتُعَرِّفُه على أشهرِ التفاسير وأئمةِ المفسّرين، وتحدِّدُ له مناهجَهم وطرائقَهم في التفسير.

وبذلك يكونُ الدارس (مُلِمّاً) إلماماً موجزاً بحركةِ التفسير ورجالها وتراثها ومناهجها، ويكون هذا الإلمامُ حافزاً له على الدراسةِ المفصَّلةِ للتفاسير الأساسية التي أُعجبَ بها، ووجدها أكثرَ دقةً وعلميةً ومنهجيةً!!

* * *

التفسير)، كآياتِ الأحكام، وآياتِ العقيدة، وآياتِ القصص، ليتعرفَ على موقفِ المفسّرِ من مختلفِ موضوعاتِ التفسير: التي اختلفَ فيها المفسّرون والعلماء، ورجالُ الفرق الإسلامية.

على الدارسِ أنْ (يُسَجِّلَ) الطرائقَ المنهجيةَ التي وقفَ عليها، وأنْ يسجّلَ طريقةَ المفسرِ في تطبيقِ تلكَ القواعد، وفهمِ آياتِ وموضوعاتِ القرآن على أساسها!!

أهمية معرفة مناهج المفسرين:

نعتقدُ أنَّ (معرفةَ مناهجِ المفسرين) ضروريةٌ للدارسين المتخصصين في الدراسات الإسلامية، وضروريةٌ للراغبين في العلم، والحريصين على الثقافة الإسلامية.

إنَّ مدارسَ التفسير عديدة، وتياراتِه واتجاهاتِه منوّعة، منذُ عهدِ الصحابةِ الكرام، وحتى العصرِ الحاضر، حيث ظهرَ مئاتُ المفسرين، وكُتبت مئاتُ التفاسير، واختلفتْ مناهجُ المفسرين في فهمِ القرآن وتفسيره.

وأشارَ الإمامُ الزمخشريُّ إلى كثرةِ التفاسير، وإلى موقعِ تفسيره (الكشاف) بينها، فقال:

إنَّ التفاسيرَ في الدُّنيا بلا عَدَدٍ ... وَلَيْسَ فيها لَعَمْري مِثْلُ كَشَّافي
إنْ كُنْتَ تَبْغي الهُدى فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ ... فَالجَهْلُ كالدَّاءِ والكَشَّافُ كالشَّافي

وإذا كانَ هذا حتى منتصفِ القرنِ السادس، فماذا نقولُ في التفاسيرِ الأُخرى التي أُضيفَتْ خلالَ أكثرَ من ثمانيةِ قرون، أعقبتْ كلامَ الزمخشريِّ السابق؟

وإذا كانت التفاسيرُ بهذه الكثرةِ وهذا التنوُّع والتشعُّب، فلابدَّ من معرفةِ اتجاهاتِها ومدارسِها، والوقوفِ على مناهجِ أصحابها، وحُسْنِ ترتيبِها وتصنيفها.

من الواجبِ على الدارس في (التفسير والمفسرين) معرفةُ المفسرين وتفاسيرِهم ومناهجِهم وطرائقهم معرفةً مجملة: المفسِّرِ ونسبِه، وعصرِه وعلمِه،

نشأة التفسير وتطوره

المرحلة الأولى من التفسير: التفسير في عصر النبوة

كان طبيعيا أن يفهم الرسول صلى الله عليه وسلم القرءان الكريم جملة وتفصيلا لقوله تعالى:"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون "[1] وقوله تعالى :"فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه"[2] كما كان الصحابة يفهمون معانيه على وجه الإجمال[3] أما فهمه على وجه التفصيل فكانوا يتفاوتون فيه بقدر علمهم باللغات التي نزل بها القرءان الكريم، ومدى صحبة كل واحد منهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ومعرفة ملابسات التنزيل، ويتضح هذا من خلال اشتهار قلة من الصحابة بالتفسير، ورجوع باقي الصحابة إليهم .

مصادر التفسير في هذه المرحلة :

الأول . القرءان الكريم: وهي الخطوة الأولى أمام كل مفسر، فما جاء مجملا في موضع جاء مفصلا في موضع آخر، وما جاء مطلقا في موضع منه جاء مقيدا في موضع آخر .

الثاني . النبي صلى الله عليه وسلم: فكثيرا ما كان الصحابة يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم من كتاب الله فيوضحه لهم، وهذا واضح لمن يرجع لكتب الحديث، فيجد مرويات كثيرة في التفسير مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى في سورة الفاتحة، وأن كلمة التقوى . في سورة محمد . هي لا إله إلا الله .

وهنا يرد علينا سؤال مهم وهو : هل فسر الرسول صلى الله عليه وسلم كل القرءان أم لا؟ فمن العلماء من ذهب إلى القول بأنه فسر كل القرءان، ومنهم من ذهب إلى أنه لم يفسر منه إلا القليل[4]، والبحث في أدلة الفريقين يدل على غلو عند كل فريق في ما ذهب إليه، والظاهر

---

[1] . سورة النحل : 44.

[2] . سورة القيامة : 16.

[3] . ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، 331/13.

[4] . انظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرءان العزيز 16/1.

هو التوسط في القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر من القرءان بالقدر الذي أشكل على أصحابه، وهذا واضح من خلال كتب التفسير بالمأثور وكتب الحديث .

الثالث . الاجتهاد وقوة الاستنباط: وذلك فيما لم يرد فيه كتاب ولا سنة،وكان يحتاج إلى نظر واجتهاد، وكان للاجتهاد عندهم أدوات منها معرفتهم بأسرار اللغة ومدلولاتها المختلفة، ومنها معرفتهم بأحوال العرب وعاداتهم، وأحوال أهل الكتاب، وكذا معايشتهم لظروف التنزيل، وقوة الفهم وسعة الإدراك، وإحاطتهم بمقاصد الإسلام وهديه.

الرابع . أهل الكتاب : لم يكن رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب له من الأهمية في التفسير ما للمصادر السابقة نظرا لما أصاب كتب اليهود والنصارى من التحريف، ولما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من النهي عن الأخذ عنهم، ولم تصدر منه الإباحة إلا في آخر حياته، مما قلل من رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب في التفسير وفي إطار جد ضيق[1] .

المفسرون من الصحابة :

أشهر المفسرين من الصحابة . كما نقل السيوطي هم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين.

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعائشة رضي الله عنهم[2] .

قيمة التفسير المروي عن الصحابة

ذكر الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي له حكم المرفوع، وعزا هذا القول إلى الشيخين، إلا أن ابن الصلاح والنووي قيدا هذا بما لا مجال فيه للرأي أو نحو ذلك،

---

[1] . انظر الذهبي ، التفسير والمفسرون، ص:37. 52. بتصرف.

[2] . السيوطي ، الإتقان ص: 877.

كما قال ابن كثير: إذا لم نجد التفسير في القرءان ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك[1].

مميزات التفسير في هذه المرحلة

1 . لم يفسر القرءان جميعه، بل ما غمض منه فقط، وكان هذا الغموض يزداد كلما ابتعد الناس عن عصر التنزيل، وكلم قل عدد الصحابة.

2 . قلة الاختلاف فيما بينهم في فهم معانيه.

3 . كانوا كثيرا ما يكتفون بالمعنى الإجمالي، ويقتصرون على توضيح المعنى اللغوي أو سبب النزول ونحوه.

4 . ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات واختفاء الاختلاف المذهبي الذي ظهر فيما بعد.

5 . لم يدون شيء من التفسير في هذه المرحلة.

6 . أخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث في الرواية، بل كان فرعا عنه[2].

المرحلة الثانية للتفسير: التفسير في عصر التابعين

مدارس التفسير في عصر التابعين

فتح الله على المسلمين كثيرا من بلاد العالم، وحمل الصحابة ما معهم من العلم إلى هذه البلدان، وجلس إليهم كثيرا من التابعين، وبذلك تكونت مدارس في الفقه والحديث والتفسير، أساتذتها الصحابة وتلامذتها التابعون، واشتهرت بعض هذه المدارس بأساتذتها وتلامذتها وهي:

مدرسة التفسير بمكة: قامت على ابن عباس، واشتهر من تلامذتها سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح.

مدرسة التفسير بالمدينة: قامت على الصحابي أبي بن كعب، وأشهر تلامذتها من التابعين هم زيد بن أسلم وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي

---

[1] . انظر ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، دار الثقافة ، الجزائر، 6/1.

[2] . محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 97/1.

مدرسة التفسير بالعراق: قامت على عبد الله بن مسعود، وأشهر رجالها من التابعين علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق ومرة الهمذاني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.

قيمة التفسير المروي عن التابعين

اختلف العلماء في حكم التفسير المروي عن التابعين هل هو من قبيل التفسير بالمأثور فيؤخذ به وجوبا إذا صح سنده، أم يعتبر من قبيل التفسير بالاجتهاد فيخضع للبحث والنظر، وخلاصة القول أنه إن كان من قبيل ما أجمع عليه التابعون وجب الأخذ به[1]، وإن كان رأي فرد منهم أمكن الأخذ به أو رده بالبحث والنظر، وأغلب من ألف في التفسير بالمأثور من العلماء نقل كثيرا من أقوال التابعين في التفسير، ورد بعضها .

مميزات التفسير في هذه المرحلة

1 . دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب، وتوسع التابعين في الأخذ عنهم.

2 . ظل التفسير محتفظا بطابع الرواية والتلقي، ولكن عن شخص بوجه خاص

3 . بدأت تظهر في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي، فنجد الحسن البصري قد فسر القرءان على إثبات القدر وتكفير من يكذب به مثلا[2].

4 .كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير إذا قيس بما كان عليه الصحابة.

المرحلة الثالثة : التفسير في عصر التدوين

وتبدأ هذه المرحلة من أواخر عصر بني أمية وبداية عصر بني العباس،وقد مر التفسير من هذه الناحية التاريخية بخمس خطوات هي :

الخطوة الأولى: حيث كان يتناقل بالرواية بين الصحابة والتابعين .

الخطوة الثانية : بداية التدوين مع بداية تدوين الحديث النبوي .

---

[1] . ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : 369/13.

[2] . التفسير والمفسرون 131/1.

الخطوة الثالثة: انفصل فيها التفسير عن الحديث ووضع لكل آية من القرءان تفسيرها من الأثر موصول الإسناد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة.

الخطوة الرابعة : لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور ولكن تجاوز روايته بالإسناد طلبا للاختصار، فدخل الوضع في التفسير، واختلط الصحيح بالعليل.

الخطوة الخامسة: وهي أوسع الخطى وأفسحها امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، وفيها امتزج الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ابتدأ بالمباحث اللغوية والنحوية والبلاغية إلى القضايا الكلامية والفلسفة والأصولية والتصوف ثم العلوم الرياضية والكونية، ثم كان آخرها العلوم الإنسانية في العصر الحديث، حتى أصبحت حركة التفسير تمثل المسحة الثقافية والعلمية للمسلمين عب العصور والمرآة العاكسة لتطور الحياة العقلية عندهم[1] .

ظهور نزعة التفسير الموضوعي

وإلى جانب هذا كله كانت هناك نزعة تجديدية في التفسير تسير سيرا بطيئا، وهي نزعة التفسير الموضوعي، أو التفسير في جانب واحد أو موضوع معين من القرءان، فألفوا في قصص القرءان وجدله وناسخه ومنسوخه وأمثاله وأقسامه ومتشابهه، وغريبه ومبهماته، وأشباهه ونظائره وأسباب نزوله وغيرها، إلى أن جاء العصر الحديث فازدادت الحاجة إلى هذا النوع من التفسير لما صارت تخضع له هذه الدراسات من المنهجية والتخصص والتقصي والتدقيق في البحث حتى صار يعرف بتفسير العصر.

[1] . التفسير والمفسرون 140/1.

في التفسير، فجاء تفسيره يسد حاجة مهمة في هداية القارئ وخوضهم من هذا الجانب.

لكن منهم من توغل وتكلف، ومنهم من تحكمت اصطلاحات العلوم وقواعد الفنون في تفسيره، وغلب عليه التعصب المذهبي، ومن الناس من خرج على قواعد التفسير وأصوله، فحرف وبدل، فمثل هؤلاء يوجه إليهم النقد أو الرد، لأن مقياس القبول أو الرد هو مدى التزام المفسر أو المتأول بأصول التفسير والتأويل، وضوابطهما اللازمة.

طرائق المفسرين في تفاسيرهم:

والمفسرون والناظرون في القرآن بقصد بيان معانيه وتفسيره على طرائق ثلاث:

الأولى: يقتصر على بسط المعاني الظاهرة من الألفاظ والتراكيب، وكشف معانيها وإيضاحها، وهذا هو الأصل.

الثانية: يتناول استنباط معان من وراء الظاهر، وهؤلاء على نوعين: منهم من يقف عند المعاني التي تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام، ولا يجافيها الاستعمال، ولا مقصد القرآن، وهذا داخل في مستتبعات التراكيب، كترجيح بعض الاحتمالات على بعض، والكشف عن وجوه إعجازه ولطف معانيه، ودلالاته المتنوعة. ومنهم من يتعدى ذلك إلى معان لا يدل عليها اللفظ أو المقام، أو تكون بعيدة ومتمحلة، كما هو عند أصحاب الاتجاهات المنحرفة.

الثالثة: أن يبسط المسائل اللغوية أو العقلية أو الفقهية، إما لمناسبتها لقصد الآية، أو لأن فيها زيادة بيان وتحقيق للمعنى، أو للتوفيق بينها وبين دلالات القرآن، أو لرد شبهات وطعون مثارة حول المعنى القرآني ومقاصده،[1] لا على أنها من دلالات تلك الآية، وإنما بقصد خدمة مقصدها، والتوسع فيما له علاقة بدلالتها. لكن من هؤلاء من أوغل وتوسع فيما لا حاجة به في علم التفسير، ومنهم من حكم الاصطلاحات العلمية والعقائد المذهبية في تفسيره.

ولغرض التعريف بهذه المناهج، والوقوف على مسالكها، وتمييز المقبول منها من المردود، نستعرض أبرز مناهج المفسرين المعروفة، والاتجاهات التأويلية المشهورة.

و من أهم المناهج التفسيرية:

١- المنهج القرآني.
٢- المنهج الأثري.
٣- المنهج اللغوي.
٤- المنهج البياني.
٥- المنهج الفقهي.
٦- المنهج الموضوعي.
٧- المنهج العقلي.
٨- المنهج العلمي.
٩- المنهج الإشاري.
١٠- المنهج الفلسفي.
١١- المنهج الباطني.

وفي الصفحات الآتية نبين سمات هذه المناهج مع تعريف بأهم المؤلفات التفسيرية التي نحت نحوها وبإيجاز.

١- ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: ٤٢/١ - ٤٤.

التفسير بالمأثور

تعريفه :

يراد بالتفسير المأثور ما جاء في القرءان نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم[1].

اللون الشخصي للتفسير بالمأثور :

هذه مسألة بالغة الأهمية، وذلك أن طالب العلم قد يحسب أن التفسير بالمأثور لا تدخله النزعة الذاتية لأنه يقتصر على مجرد النقل والرواية، ولذلك نقول إذا كان الطابع الشخصي في كتب التفسير بالرأي يبدو جليا واضحا للقارئ، فإننا لا نكاد نلمحه للوهلة الأولى على هذا النحو من الجلاء والوضوح بالنسبة للتفسير بالمأثور، ونستطيع أن نتتبع آثار هذا اللون الشخصي للتفسير بالمأثور فيما يأتي[2] :

أ ـ تخير المفسر من المرويات ما يراه متجها إلى معنى الآية ومتعلقا بها، وهو في كل ذلك لا يخلو من أن يكون متأثرا نفسيا وعقليا حينما يقبل رواية ويهتم بها ويجتهد في تصحيحها وتلميعها، أو حينما يرفض رواية أخرى، ويحرص على استبعاد صحتها ولا يرتاح إليها، ومثال ذلك ما فعله الإمام محمد عبده وهو يفسر قوله تعالى: "وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول"[3] فنراه يتخير من الروايات الكثيرة عند الطبري في وصف الطير الأبابيل بأنها جراثيم، وجعلهم كعصف مأكول معناه إصابتهم بمرض فتاك كمرض الجدري..

ب ـ التوسع والتفصيل أو الإيجاز والتقليل في نقل ما يتعلق ببدء الخلق والتكوين وتاريخ الإنسانية الأولى وغيرها .. فكان من وراء ذلك التفاوت بين المفسرين في نسبة النقل عن

---

[1] . المصدر السابق :152.

[2] . انظر الذهبي ، التفسير والمفسرون: 1. 155.

[3] . سورة الفيل: 3. 5 .

الإسرائيليات والقصص والأخبار، وليس من شك في أن هذا يمثل صورة عقلية وطابعا شخصيا لكل من يقبل هذه الروايات ويشغف بها، ويجتهد في تفسير بعض الآيات في ضوئها، وهو خلاف من يزهد في مثل هذه الأخبار ويضرب صفحا عنها.

ج . كما يبدو اللون الشخصي في التفسير بالمأثور في مدى معرفة المفسر بالرجال وقدرته على نقد الأسانيد، وتمييز المرويات المقبولة من المردودة، فمن كان راسخ القدم في فحص الآثار والأخبار جاء تفسيره نقيا خاليا من المرويات الواهية والمتروكة، ومن كان قصير الباع في هذا الجانب كان حاطب ليل وكان تفسيره خليطا من الروايات المتفاوتة في القوة والضعف وربما غلب ضعيفها على صحيحها، ومن هنا وجب التنبيه على أن كتب التفسير بالمأثور وإن كانت مشتركة في النقل والرواية فهي متفاوتة من حيث تفاوت مؤلفيها في علم الرواية.

عيوب التفسير بالمأثور وأسبابها

على الرغم من كون التفسير بالمأثور هو المعول عليه، وهو المقدم على غيره ولا غنى عنه لكل طالب لتفسير القرءان الكريم، فإنه قد علقت به بعض العيوب والنقائص بفعل عوامل مختلفة، مما يجعل المفسر أما عقبات شاقة وهو يتعامل مع ذلك الكم الهائل من الروايات والأخبار وترتيبها وتمحيصها ووضعا في الموضع اللائق بها، ومن هذه العيوب مايأتي :

أ . كثرة الوضع في التفسير :

فقد نشأ الوضع في التفسير مع نشأته في الحديث، لأنهما كانا أول الأمر مزيجا في التأليف والرواية، فوجد في كل منهما الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

وترجع أسباب الوضع في التفسير إلى الأسباب نفسها في الحديث، ونذكر منها التعصب المذهبي والتناحر السياسي، والولع بالأخبار والقصص، والترويج للبدع والأهواء والزندقة وغيرها من الأسباب المعروفة.

وكان من أثر هذا الوضع الذي دخل في التفسير المأثور أن ضاع كثير منه لما أحاط به من شكوك فقلل من الثقة به، على أنه ينبغي التنبيه إلى أن التفسير الموضوع لا يخلو من قيمة علمية . بخلاف الوضع في الحديث . لأنه عبارة عن اجتهاد لواضعه، فهو لا يبعد عن معنى

الآية في بعض الأحيان، وكل ما في الأمر أنه أراد رواجا لتفسيره وقبولا بين الناس، فهذا التفسير لا يخلو من قيمة علمية بطريقة أو بأخرى، وإن لم تكن له قيمة إسنادية، كما يرجع إليه في معرفة آراء الفرق وأرباب النحل وأهل الأهواء وغيرها من الاتجاهات.

ب . الإسرائيليات:

يقصد بالإسرائيليات ذلك اللون اليهودي النصراني الذي ذاع وشاع في كتب التفسير، وإنما سمي بالإسرائيليات من باب تغليب الغالب، لأن الجانب اليهودي هو الذي فشا وطغى وسيطر لشدة التصاق اليهود بالمسلمين منذ ظهور الإسلام.

ونحن إذا أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على بعض مما اشتمل عليه القرءان الكريم، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام مع فارق هو الإجمال في القرءان والتفصيل في غيره، فكان المسلمون يقتبسون ممن أسلم من أهل الكتاب ما يرون أنه شارح لهذا الإجمال وموضح لما فيه من غموض وإبهام، غير أن الصحابة رضي الله عنهم لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يتوقفون امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم)[1]

كما أنهم لم يسألوا عن شيء يتعلق بالعقيدة والأحكام، بل كانوا يسألونهم عما كان في زمن أنبيائهم من الوقائع والأخبار للوقوف على ما فيها من المواعظ والعبر، أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، ويرجع ذلك إلى كثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب، ومحاولة إيجاد تفصيل وتفسير لكل غموض ناتج عن الإجمال في مواضيع القرءان الكريم.

قيمة ما يروى من الإسرائيليات

الأخبار الإسرائيلية ثلاثة أقسام:

- قسم نعلم صحته بما جاء في السنة الصحيحة كتعيين اسم الخضر صاحب موسى عليه السلام، أو له شاهد من الشرع يقويه فهذا نقبله.

[1] . رواه البخاري في كتاب التفسير.

التفسير بالرأي وما يتعلق به

معنى التفسير بالرأي :

يطلق الرأي على الاعتقاد، والاجتهاد، والقياس، ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس، والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي هنا عبارة عن التفسير بالاجتهاد، بعد أن يتحقق المجتهد بشروط المفسر المنصوص عليها عند أهل العلم[1].

موقف العلماء من التفسير بالرأي:

انقسم أهل العلم إلى فريقين بين مانع ومجيز، وقد بنى كل فريق موقفه على جملة من الأدلة .

أدلة المانعين للتفسير بالرأي:

أولا . قال المانعون: إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، لأنه مبني على الظن، ولا سبيل إلى القطع بصحة الاجتهاد، والله تعالى يقول :"ولا تقف ما ليس لك به علم" سورة الإسراء:36

ورد المجيزون بأن الظن نوع من العلم، إذ هو إدراك الطرف الراجح، والظن كاف إذا غاب المستند اليقيني أي النص.

ثانيا . استدل المانعون بقوله تعالى:"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم.."[2] ورد المجيزون بأن هذا صحيح ولكن فيما ثبت بيانه عنه صلى الله عليه وسلم فهو يغني عن غيره.

ثالثا . واستدل المانعون بما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : من قال في القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار). وأجاب المجيزون بأن الحديث محمول على من قال في القرءان في مشكل القرءان ومتشابهه، أو من قال برأيه الذي يغلب عليه الهوى والمذهب الفاسد، أو يقول برأيه دون أن يعرج على المأثور من التفسير .

رابعا . كما استدل المانعون بما ثبت عن السلف من الصحابة والتابعين من التحرج من التفسير بالرأي . وأجاب المجيزون بأن من تحرج من السلف إنما كان من باب الورع والخشية كما أن

---

[1] . التفسير والمفسرون ص:255.

[2] . سورة النحل ، الآية :44.

إحجامهم كان مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه، كما أحجم من أحجم لوجود من يسد مسده في التبليغ، وإلا كانوا كاتمين للعلم.

أدلة المجيزين:

أولا . منها نصوص القرءان كقوله تعالى :" أفلا يتدبرون القرءان.." وقوله تعالى:"ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.."[1]

ثانيا . لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزا، وهذا بين البطلان، لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا لأهله إلى يوم القيامة .

ثالثا . ومنه ما ثبت عن كثير من الصحابة من اجتهاد في التفسير، واختلاف وجهات نظرهم في ذلك.

رابعا . ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فلو كان التفسير مقصورا على النقل والسماع لما كان من فائدة في تخصيصه بهذا الدعاء.

تحرير موضع الاختلاف:

ونحن إذا أخذنا بظاهر رأي الفريقين اعتبرنا كلا القولين فيهما غلو وإفراط، ولكن يمكن دفع هذا التعارض المتبادر من ظاهر القولين بأن الذين منعوا التفسير بالاجتهاد إنما فعلوا لقطع الطريق أمام التفسير بالرأي المذموم بكل ألوانه ودوافعه، وإن الذين أجازوا التفسير بالرأي إنما أجازوا ذلك لمن استجمع شروطه، كما أنهم لم يبيحوه على إطلاقه.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

ذكر العلماء شروطا كثيرة يجب على كل من يشتغل بتفسير كتاب الله أن يحوز عليها، ومنها :

1 . اللغة (مدلول مفرداتها) والنحو والصرف..

2 . علوم البلاغة الثلاثة وهي علم المعاني، علم البيان، علم البديع

3 . علم التوحيد ويلحق به علم الكلام والمدارس الكلامية بما لها وما عليها والمذاهب والطوائف وآرائها وأصولها وغيرها.

---

[1] . سورة النساء ، الآية :83.

تعريف بهذا التفسير الذي يعنى بآيات الأحكام المتعلقة بأعمال العباد في دنياهم وأخراهم.

التفسير الفقهي للقرآن الكريم

مقدمة في تطور الحياة، واتساع الاستنباط الفقهي للأحكام، وظهور المدارس الفقهية المتعددة ومناهجها الاستنباطية.

يعتبر التفسير الفقهي من أقدم أنواع التفسير ظهورا، حيث بدأ ظهوره مع النشأة الأولى للتفسير بالمأثور، ويتضح هذا من خلال ما روي عن غير واحد من الصحابة أنهم كانوا إذا تعلموا العشر آيات من القرءان لا يجاوزونها حتى يعرفون ما فيها من العلم والعمل[1]، وكان من الطبيعي أن يهتم المسلمون بالجانب الفقهي في التفسير في مرحلة مبكرة غير أنه كان مزيجا مع غيره من التفسير في مرحلة الرواية، ولم يستقل بمنهجه ومعالمه المميزة له إلا بعد ظهور المذاهب الفقهية لكبار الأئمة المجتهدين كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ومن تفقه على أيديهم من تلامذتهم، وهنا بدأت تظهر مرحلة التنظير الفقهي في الفقه وأصوله، وبدأ أتباع المذاهب الفقهية في تخريج الأصول على الفروع ورد المسائل إلى أصولها وأدلتها من الكتاب والسنة، فاتجه أتباع كل مذهب من الأئمة إلى وضع تفاسير لآيات الأحكام على مذاهبهم، وبيان وجه الاستدلال على كل مسألة فقهية من النصوص الشرعية، مما أدى إلى ظهور مؤلفات في التفسير الفقهي للقرءان الكريم، ومن هنا نشأ التأليف في التفسير الفقهي في الغالب الأعم. في أحضان الفقه المذهبي وتلون بألوانه، وفيما يأتي تعريف بأهم المؤلفات التي تعبر عن هذا الاتجاه في التفسير، وقد عرفت باسم كتب أحكام القرءان.

1. أحكام القرءان للجصاص الحنفي (305. 370هـ)

التعريف بالمؤلف

هو أبو بكر، أحمد بن علي الرازي، المشهور بالجصاص، ولد ببغداد وكان غما الحنفية في وقته وإليه انتهت رئاسة الأصحاب، تفقه على فقهاء عصره واستقر مدرسا ببغداد، وانتهت إليه الرحلة، له عدد من المؤلفات المشهورة منها كتاب في أصول الفقه وشرح الجامع الكبير لتلميذ

[1] . السيوطي، الإتقان في علوم القرءان،ص: 855.

قول لقائله، وينقل عمن سبقه من المفسرين بأمانة، ويناقش ما ينقل بوعي وبصيرة وإنصاف، و كان من مظاهر إنصافه - رحمه الله - أنه يقف موقف المدافع عمن يهاجمهم ابن العربيم المخالفين، مع توجيه اللوم إليه أحيانا على ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق علماء المسلمين المخالفين له في الرأي والاجتهاد.

وأما في جانب الأحكام ، وهو المقصد من الكتاب ، فهو يفيض في ذكر مسائل الخلاف ويوفيها بحثا وتحليلا، من غير تعصب لمذهبه الملكي ، بل يميل مع الدليل والبرهان حيث كان مهما كان قائله، مما زاد في مصداقية هذا التفسير وقبوله بين طلبة العلم، والكتاب مطبوع في موسوعة ضخمة أكثر من مرة ، كما توجد له مختصرات قيمة ولكنها لا تغني عن أصل الكتاب للباحثين وطلبة العلم.

فهذه أشهر كتب التفسير الفقهي للقرءان الكريم، وتوجد كتب أخرى في هذا الباب لبعض الفرق الكلامية كالشيعة وغيرهم سكتنا عنها لأن المجال لا يتسع لذلك، منها كتاب "كنز العرفان في فقه القرءان" لمقداد السيوري، من الإمامية الإثناعشرية، وهو من أعيان القرن الثامن الهجري، وكتاب "الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة" ليوسف الثلاثي الزيدي من أعيان القرن التاسع الهجري.

التفسير الباطني والإشاري للقرءان الكريم

هناك نوعان من التفسير في هذا الباب، فالتفسير الباطني ينسب لأرباب النحل الفاسدة والمذاهب الزائغة الذين تبنوا آراء شاذة في فهم الدين والملة ثم أرادوا أن يحملوا نصوص الكتاب عليها ، ولما وجدوا أن هذه النصوص لا يوافق ظاهرها ومدلولها العربي دعواهم زعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن المقصود من القرءان الكريم هو الباطن دون الظاهر وأن هذا الباطن لا يجري على قواعد اللسان العربي التي تعارف عليها أهل العلم والبيان ، وإنما تنكشف لمن خصه الله تعالى واصطفاه لهذا الشأن دون غيره من الناس.

فهذا هو التفسير الباطني للقرآن الكريم إجمالا، وقد تطلق عليه أسماء أخرى، منها التفسير الصوفي النظري، ومنها التفسير الرمزي، والتفسير الفلسفي وغيرها، وينتشر مثل هذا الاتجاه في التفسير عند غلاة الشيعة والصوفية والفلاسفة ومن حدا حدوهم.

وأما التفسير الإشاري فلا يرتكز في الغالب على آراء سابقة ولا مقررات ابتدائية، بل يقوم على رياضة روحية يأخذ الصوفي بها نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وهو لا يرى أن هذه المعاني التي دلت عليها آيات القرءان بالإشارة أنها المقصودة وحدها، بل يرى أن المعنى الظاهر للآية هو السابق والمقدم، ولكن الآية - إلى جانب ذلك - تحتمل هذه اللطائف والأسرار التي تنكشف لأهل الذوق، وأن هذه المعاني الخفية لا يقتصر في الكشف عنها شخص دون شخص آخر ، بل هي ميسرة لكل من سلك طريق هذه الرياضة الروحية.

والحقيقة أن التفسير الإشاري بهذا المفهوم لا غبار عليه، ولا يقوم دليل شرعي على رده وإبطاله، ذلك أن علماء أصول الفقه قد أجمعوا على أن نصوص القرءان الكريم تحمل دلالة العبارة كما تحمل دلالة الإشارة، وهذه الإشارة قد تكون فقهية ، وقد تكون عقدية ، وقد تكون روحية أخلاقية ، وقد تكون علمية، وقد تكون تاريخية، وكل إشارة يفهمها أهل الرسوخ والاختصاص في اختصاصهم.

وقد دل على شرعية التفسير الإشاري بعض الآثار الواردة عن الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فهم من قوله تعالى :" إذا جاء نصر الله والفتح"[1] حلول أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووافقه عمر رضي الله عنه على ذلك، بينما قال غيرهم من الصحابة: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا.

ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى:" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[2] أن الصحابة فرحوا أيما فرح بنزولها، إلا أن عمر رضي الله عنه

---

[1] . سورة النصر، الآية:1.

[2] . سورة المائدة، الآية: 4.

كما نذكر من كتب التفسير الإشاري . وهو مقبول ، كتاب "حقائق التفسير" لأبي عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة:412هـ[1] وكتاب "عرائس البيان في حقائق القرءان" لأبي محمد الشيرازي المتوفى ستة: 666هـ وكتاب " لطائف الإشارات" للإمام القشيري[2] ، وهي كلها مطبوعة ومتداولة بين طلبة العلم ، وفيها ما هو شبيه بالصواب وما هو دون ذلك.

التفسير العلمي للقرءان الكريم

تعد النزعة العلمية في تفسير القرءان الكريم فكرة قديمة في تاريخ التفسير، حيث أن التطلع إلى البحث في القرءان الكريم عن تفسير بعض الظواهر الكونية ظهر مبكرا منذ عصر التنزيل، ونلحظ هذا في سؤال بعض الصحابة لنبيهم الكريم عن الأهلة، فقد ذكر الطبري وغيره في تفسير قوله تعالى :" يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج.."[3] أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . سئل عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية جوابا لهم فيما سألوا عنه، وذكر الطبري في ذلك أخبارا وآثارا، ثم فسر الآية في ضوء سبب نزولها فقال: (فتأويل الآية إذا كان الأمر على ما ذكرنا عمن ذكرنا عنه قوله في ذلك: يسألونك يا محمد عن الأهلة ومحاقها وسرارها وتمامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة ونقصان ومحاق واستسرار، وما المعنى الذي خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة أبدا على حال واحدة لا تتغير بزيادة ولا نقصان، فقل يا محمد خالف بين ذلك ربكم ..مواقيت لكم ولغيركم من بني آدم في معايشهم.)[4]

---

[1] . هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، كتب الحديث، وبلغت تآليفه أكثر من المائة، له كتاب "حقائق التفسير" على طريقة أهل التصوف. انظر ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي:31، وكشف الظنون:673، وطبقات المفسرين للداودي:137/2.

[2] . هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، أبو القاسم ، زين الإسلام، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والتصوف، رحل إلى بغداد والحجاز له أكثر من كتاب في التفسير، منها تفسيره على طريقة الصوفية" لطائف الإشارات" ، مطبوع في ستة أجزاء، توفي سنة: 465. انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي: 21، وطبقات الشافعية للسبكي:153/5، وكشف الظنون:520.

[3] . سورة البقرة ، الآية:188.

[4] . الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرءان، 1 /253.

الفصل الرابع :

مدرسة التفسير بالاثر

الاثر : (هو ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة او عن التابعين موقوفا عليهم او مرفوعا وهذا عند اهل الحديث ومنهم من يجعله مرادفا للحديث فيقصره على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم)[1] .

اما التفسير بالاثر[2] : فقد اصطلح عليه اهل التفسير بانه ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن التابعين من تفسير لآيات الله او اي نص قرآني او لفظ .

ومدرسة التفسير بالاثر هي اول مدارس التفسير ظهورا لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر ما اشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم ولما كان الصحابة قد عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحضروا نزول الوحي استغنوا عن كثير مما احتاج غيرهم لفهم القرآن الكريم فكان ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم قليلا جدا .

وسر اعجازه يكمن في فهمهم له بسهولة ويسر لانه نزل بلغتهم التي كانت سائدة وهي مادة ادبهم وكلامهم ، وسبب ايمانهم انهم سمعوا كلاما يفهمونه بنظم لا

---

(١) نزهة النظر ـ شرح نخبة الفكر ـ لابن حجر ص ٢٢٨
(٢) التفسير والمفسرون طـ ص ١٥٢ بتصرف

يستطيعون ان يأتوا بمثله مع حلاوته وتحريكه النفس حتى وصفه المعاندون من العرب بانه (سحر يؤثر) [1] .

فالصحابة رضي الله عنهم انشأوا مدارس للتفسير في الاقطار الاسلامية التي هاجروا اليها فتتلمذ عليهم التابعون واخذوا عنهم فهمهم وتفسيرهم فكان التابعون اعلم بتفسير القرآن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من الذين جاءوا بعدهم . فيعتبر قيام مدرسة التفسير بالاثر على المعالم التالية :

---

(١) صورة المدثر ، اية ٢٤ .

أقسام التفسير بالمأثور :

١ ـ تفسير القرآن الكريم بالقرآن ، فان القرآن الكريم قد وردت فيه آيات مجملة ثم فصلت في موضوع آخر كما نزلت ايات مبهمة ففسرت في موضوع ثان ثم ان في القرآن الكريم ايات يستدل على تفسيرها بنظائرها في مواضع اخرى فمثلا قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنين فلهن ثلثا ما ترك ﴾[1] استدل بعض العلماء على كون البنيتين اذا انفردتا بالميراث فلهن ثلثا التركة ، وحسبوهما من ضمن النساء في قوله ﴿ فان كن نساء فوق اثنتين ﴾ استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[2] بان الله عبر عن الاعناق وما فوقها بقوله فوق الاعناق ، وهكذا كثير في آيات الله البينات .

مثال

كما ان اغلب قصص القرآن الكريم مجملا في موضوع مفصلا في موضع آخر فمثلا قصة موسى عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام تقرأها في سورة النازعات على الشكل التالي : ﴿ هل اتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى

---

(١) النساء من الاية ١١ .
(٢) من الاية ١٢ الانفال

ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم ادبر يسعى ، فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ﴾[1] ثم فصل القصة في سورة القصص بقوله : ﴿ نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . . الايات الى قوله تعالى : ﴿ وما كنت في الجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ﴾[2] .

وفي القرآن الكريم اجمل في مكان وفصل في مكان اخر وفيه ما اطلق في موضع وقيد في غيره وهكذا .

ويرى قسم من العلماء ان ما في القرآن لا يعتبر تفسيرا ولا يعتبر القرآن مما يستمد منه التفسير ومنهم من قال: انه ليس من التفسير ولا يعتبر مما يستمد منه التفسير حكي هذا محمد الطاهر بن عاشور : قال (ولا يعد ايضا من استمداد التفسير ما في بعض اي القرآن من معنى يفسر بعضا منها لان ذلك من قبيل حمل الكلام على بعض كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ومفهوم المخالفة .

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب في حرف لا عن ابي علي الفارسي ان القرآن كله كالسورة الواحدة ولهذا يذكر الشيء في سورة وتمامه في سورة اخرى نحو (وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون)[3] وجوابه (ما انت بنعمة ربك بمجنون)[4] .

وهذا كلام لا يحق اطلاقه لان القرآن قد يحمل بعض اياته على بعض وقد يستقل

(١) من الاية ١٥ الى الاية ٢٥ .
(٢) الايات من ٣ الى ٤٤ .
(٣) آية (٦) الحجر
(٤) آية (٣) القلم

بعضها عن بعض ، اذ ليس تعيين ان يكون المعنى المقصود في بعض الايات مقصودا في جميع نظائرها بل ما يقارب غرضها)[1] .

ومع وجاهة هذا الرأي فان القرآن الكريم بفهم جملة واحدة او يستطيع قارئه ان يستنير ببعضه على بعض ويستدل ببعضه على الآخر .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة :

وهذا هو الركن الذي لا يقوم التفسير باي شكل من اشكاله بدونه فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة الوحيدة بين الله والناس والقرآن هو معجزته ودستوره وبرنامجه الذي اعده له الله لاصلاح الانسانية .

وقد كلفه الله سبحانه بتبليغه للناس فقال تعالى : ﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[2] وقال تعالى ﴿ انا انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾[3] وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يبلغ القرآن ساعة نزوله حتى يصل الى اقصاهم .

وكان فيما ينزل قصص وعبر واحكام ونظم فكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم[4] يفهمون القصص ويعتبرون بها ولا يصعب عليهم في فهمها شيء فهي بلغتهم وعلى اساليب كلامهم تركيبا وافرادا ، ولكن القرآن يحتوي على غير اللغة العربية السائدة وهي لغة قريش وان قل ، من مفردات في لغات العرب الاخرى فالعرب يفهمونه جملة لان لغة قريش ملتقى اللغات حيث انها لغة اهل البيت الذي يحج اليه العرب جميعا ، ولكن قد يخفى على قسم من افراد القبائل بعض المفردات التي ليست بلغتهم او قليلة الاستعمال في لغة قريش فيشرحها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم اذا سألوه . هذا بشأن المفردات او التراكيب الغريبة اما الاحكام فكان صلى الله عليه وسلم يفسر ما جاء في القرآن الكريم تفسيرا عمليا

---

(١) التحرير والتنوير جـ ١ ص ٢١ .

(٢) المائدة اية ٦٧ .

(٣) النمل اية ٤٤ .

(٤) تفسير الطبري ـ ابن جرير الطبري ـ مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٨ جـ ١٠ ص ٥٩ .

حيث يذكر القرآن الكريم العبادة ولم يكن للمسلمين عهد سابق بها قبل الاسلام ولا قبل ان تنزل ، فمثلا الصلاة لم تكن معهودة لديهم واذا فلا بد من معرفة معنى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ اقيموا الصلاة ﴾[1] وكذلك الزكاة والحج وجميع العبادات التي تتطلب اعمالا معينة .

وهذا التفسير ملازم للقرآن الكريم لا يستغني عنه ابدا ، ولا لاحد ان يقول اني استغني عن السنة بالقرآن الكريم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا اني قد اوتيت القرآن ومثله ، الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم لحم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها)[2] فالسنة هي المكملة للقرآن الكريم من الناحية التشريعية فان آية التحريم لم يرد فيها ما ذكره الحديث ، (وقد قيل لاحمد بن حنبل عن صحة القول ان السنة قاضية على الكتاب فقال : ما اجسر على هذا ان اقوله ولكن السنة تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه)[3] (وروى الخطيب في الكفاية قوله : اخبرنا محمد بن احمد بن رزق قال حدثنا مكرم بن احمد قال حدثنا محمد بن الحسن الخوارزمي قال سمعت علي بن المديني يقول قال عبد الرحمن بن مهدي : الرجل الى الحديث احوج منه الى الاكل والشرب وقال : الحديث تفسير القرآن)[4] .

وحاصل القول ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر ما احتاج اليه المسلمون من القران الكريم وما فهمه المسلمون لم يتعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم الا اذا شعر انهم ربما فهموه على غير ما اراد الله به ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع القرآن الكريم اذ لم يكن لهم به حاجة في ذلك الوقت .

٣ ـ تفسير الصحابة الكرام رضي الله عنهم :

الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم الذين اختارهم الله لمجلس رسوله

---

(١) البقرة اية ١١٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص ٣٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

ولحمل رسالته وتبليغ شريعته وقد اصطفاهم لذلك ولذا فانهم كانوا نموذجا فريدا تقتدي به الانسانية وتسير على هداه الى يوم الدين وقد وردت في فضلهم ايات كثيرة تشهد لهم بمجموعهم وهناك ايات جاءت تشهد بفضل افراد منهم ومن الايات التي تكلمت عن فضلهم جميعا قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك ﴾[2] وهناك ايات كثيرة تكلمت بفضلهم وصفاتهم وقد روى ابن عبد البر قوله :(حدثني خلف بن القاسم قال حدثنا ابو احمد عبدالله بن محمد بن ناصح المعروف بابن المفسر الدمشقي بمصر قال حدثنا ابو بكر احمد بن علي بن سعيد القاضي قال حدثنا ابو هشام الرفاعي قال حدثنا روح بن عبادة عن سعيد بن ابي عروبة عن قتاوة قوله عز وجل : (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق)[3] قال : (هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[4] (وسئل سعيد بن المسيب عن شيء فقال : (اختلف فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ارى لي معهم قولا . قال ابن وضاح هذا هو الحق قال ابو عمر معناه ليس له ان ياتي بقول يخالفهم به)[5] ولا يستطيع الانسان ان يحصي فضلهم ابدا .

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم اعلم الناس بالقرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم شاهدوا نزول الوحي وعلموا ظروف النصوص القرآنية كل على انفراد فيعلمون كل ما يحيط النصوص من ظروف ، اضف الى ان القرآن نزل بلغتهم كما اسلفنا وعالج احوالهم التي كانوا عليها فمنها ما اخرها ومنها ما امرهم بتركها فتركوها فهم اعلم بما ابقوا وما نبذوا ولذا فان احسن الناس علما بتفسير القرآن الكريم هم الصحابة على تفاوت بينهم فمنهم الذي برع بتفسير النصوص

---

(١) الفتح اية ٢٩ .

(٢) الفتح اية ١٨ .

(٣) سبا اية ٦ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٦ ـ ابن عبد البر

(٥) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٦ .

مطلقا ومنهم الذي علم ما جاء في القرآن من احكام ومنهم من ادرك واستوعب ما جاء في القرآن من الفرائض .

وهكذا .

هذه حالهم من الناحية العامة التي تحتمل النظر والرأي منهم ومن غيرهم وهناك ظروف احاطت بالنص القراني لا سبيل اليها بالعقل او النظر فلا بد من النقل فيها وهي من الامور اللازمة لتفسير النص ولا يستقيم التفسير بدونها كاسباب النزول وترتيب السور والايات وتعيين المراد في ايات الاحكام .

ومثال مما جاء في الاحكام قال تعالى ﴿ السارق والسرقة فاقطعوا ايديهما ﴾[1] فلا يستطيع احد ان يتوصل باعمال الفكر الى اي اليدين التي تقطع وهل يستطيع ان يعلم مقدار المال الذي تقطع من اجل سرقته اليد . . .

ولما كان من المستحيل التوصل بطريق الاستنتاج الى ذلك فان جاء عن الصحابي فيه شيء وان لم يقل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ياخذ حكم المرفوع .

وهكذا جميع ايات الاحكام التي جاءت عامة او مجملة او مبهمة . وهذه من المستلزمات لفهم النص ولا يمكن ان يفهم بدون العلم بها عن طريق النقل .

ثم مسألة اسباب النزول او الوقائع التي نزل النص لها فواكب حدوثها نزول الاية فحكتها وهذه مما لا غنى لاحد عنها في فهم النص القرآني .

فمثلا قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾[2] فمن غير معرفة سبب النزول تفسر هذه الاية على انها تبيح الخمر . فهل يستطيع مفكر ان يستنتج ان هذه الآية (رخصة للسابقين الذين ماتوا قبل تحريم الخمر اذ سأل الصحابة عن حكمهم فنزلت)[3] .

او قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾[4] من من

---

(١) المائدة اية ٣٨ .

(٢) المائدة ٩٣ .

(٣) اسباب نزول القرآن ص ٢٠٣ .

(٤) المجادلة اية ١ .

الصحابة واخيرا قال : (صبيان واطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وعدادهم في الصحابة)[1] .

٤ ـ التابعين باحسان :

يعتبر اصحاب مدرسة التفسير بالاثر نتاج التابعين من قبيل التفسير بالمأثور او الاثر . . قال الشيخ الذهبي (يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفضيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح المراد لله تعالى من نصوص كتابه الكريم)[2] .

والواقع ان ما جاء عن ثقات التابعين من القضايا التي ليس فيها مجال للاجتهاد كاسباب النزول والنسخ وغيرها فان راي الثقة يؤخذ على انه اخذه من الصحابة الكرام وباعتباره ثقة فلا يمكن ان يكذبه عليهم وان لم يذكر مورده فيها .

اما ما كان فيه مجال للاجتهاد والرأي فاغلب العلماء على انه راي قابل للخطأ والصواب وانما يستأنس به استئناسا وهذا هو الراي الراجح .

هذه هي موارد التفسير الماثور وهذه هي اسس مدرسة التفسير بالاثر . ويرى علماء هذه المدرسة انه لا يؤخذ التفسير الا عن هذه الطرق وما اخذ من غيرها يعتبر من قبيل القول على الله بغير علم .

ويحتجون على ما ذهبوا اليه بحجج اهمها[3] :

١ ـ ان الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾[4] قالوا ان الله سبحانه امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالبيان واذا فليس على غيره البيان فلا يجوز لاحد غير الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ويفسر القرآن .

---

(١) معرفة علوم الحديث ـ الامام ابو عبد الله الحاكم ـ المكتب التجاري بيروت ص ٢٤ .

(٢) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٥٣ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ـ نشر ارثر جيفري ـ مكتبة الخانجي ـ سنة ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ ص ١٨٣ . ومقدمة في اصول التفسير ص ٣٥ . والاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٠٥ والتفسير والمفسرون جـ ١ ص ٥٠ .

(٤) النحل ـ اية ٤٤ .

٢ ـ قالوا ان التفسير هو بيان مراد الله سبحانه وتعالى ، ولا يعرف مراد الله سبحانه الا من اطلعه الله عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

ـ قالوا ان الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾[1] وحاشا ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قصر في تبليغ الرسالة .

٤ ـ وبناء على الفقرة السابقة فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسر القرآن الكريم كله وليس لاحد ان يخالف قول الرسول في التفسير فيجب التحري عن اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفتها في هذا الشأن وعدم التعرض للتفسير من ذات الشخص وحسب اجتهاده .

٥ ـ روي ابو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

٦ ـ انه من غير المألوف ان جماعة ياتيهم كتاب في علم من العلوم ولا يدرسوه ويعرفوا معناه فكيف بكتاب الله .

٧ ـ روي عن كثير من الصحابة الكرام انهم كانوا لا يقولون بالقرآن بارائهم الا ان يكون نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن قد فسره جميعا لرخص لهم الاجتهاد فيه .

٨ ـ روي عن عمر بن الخطاب انه قال : ان اخر ما نزل اية الربا ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر جميع القرآن تباعا ومن غير ان يترك شيء .

وبناء على ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع القرآن او معظمه والذي بقي فالصحابة يفهمونه ففسروه للتابعين فانه لا حاجة لئن يجتهد احد في القرآن ولا يوجد مصدر لتفسير القرآن الا الاثر عن الرسول والصحابة والتابعين .

---

(١) المائدة ـ اية ٦٧ .

منهج الإمام سفيان الثوري في تفسيره

أ- الكتاب: تفسير القرآن الكريم

مؤلفه[1]:

الامام العلم الحجة سفيان بن سعيد بن مسروق بن موهبة الثوري نسبة الى ثور بن مضر بن نزار الكوفي .

احد الائمة المجتهدين في الفقه ، اجمع العلماء على امامته في الحديث والاصول والعلوم الشرعية جميعا .

قال عنه شعبة وابن عيينه وابن معين وغيرهم : سفيان امير المؤمنين في الحديث .

قال الطبري : كان فقيها عالما عابدا ورعا ناسكا راوية للحديث ثقة امينا على ما روي وحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن غيره .

اشتهر بالرأي والاجتهاد والقياس بدرجة اشتهاره في الحديث وكان علمه بالقرآن واسعا جدا ، وهو من اكابر مفسري عصره حتى كان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية الا فسرها وكان يقول : سلوني عن المناسك والقرآن فاني بهما عالم .

ولد رحمه الله في بيت علم ودين فأبوه من علماء الحديث واخوته وامه من فضليات النساء وكانت ولادته في سنة (٩٧هـ) سبع وتسعون باثير من قرى الكوفة وتوفي سنة (١٦١ هـ) رحمه الله ورضي عنه وارضاه .

---

(١) الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٠٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٩ ولم يخل كتابه في التراجم والسير والطبقات من ترجمة له .

التفسير :

روي عن التفسير ابو جعفر محمد بن حذيفة النهري عنه مباشرة ورتبه وصححه وعلق عليه ـ امتياز علي عرشي ـ يتكون التفسير من مجلد واحد .

هو خير مثال للتفسير بالاثر حيث ان التفسير لم يكن فيه الا ما رواه سفيان عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ويذكر معاني نصوص بسيطة من غير رواية .

ومنهجه فيه هو منهج المحدث الذي يجمع الاثار والتفسير مرتب على السور والايات القرآنية من غير تفاوت في السور ولكن لا يفسر جميع الايات ولا جميع الكلمات في السورة وانما يكتفي بما وصل في تفسيرها اثر من الآيات في السورة والكلمات في الاية ويترك الباقي ولا يفسر بنفسه الا قليلا جدا . لانه رضي الله عنه كان لا يرى جواز التفسير بغير الاثر مطلقا ولا يفسر بالرأي لانه راوي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وروي عن الشعبي قوله : لان اكذب على محمد صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اكذب في القرآن كذبة ـ انما يقضي الكاذب في القرآن الى الله .

لم يفسر جميع سور القرآن الكريم بل وصل في تفسيره الى سورة الطور . وترك سورة الدخان وسورة محمد صلى الله عليه وسلم من غير تفسير . كما انه يسمي قسما من السور باسماء تختلف عن الاسماء المذكورة في المصاحف المتداولة .

فيسمي سورة الاسراء ، بني اسرائيل والحج ، اقترب وفاطر ، الملائكة وغافر ، المؤمن وفصلت ، حم السجدة والشورى ، عسق وقسم من هذه الاسماء تذكرها قسم من المصاحف ولكن هناك اسماء لم تعهدها في اي من المصاحف غيره .

ان تفسير الامام سفيان الثوري ذو مكانه علمية عالية لانه :

١ ـ تفسير امام من ائمة العلم الشرعي والمجتهدين .

٢ ـ لانه اقدم تفسير وصل الينا بعد التفسير المروى عن ابن عباس

وهو تفسير بالماثور بكل معنى هذه الكلمة. لان صاحبه يؤمن بفكرة انفراد الاثر في تفسير القرآن وطبقها على تفسيره بحذافيرها. اذ كل ما فسره بنفسه تجده تفسيرا لاحد الصحابة او التابعين ولكنه لم يذكر السند بكامله اليه او اهمل السند مطلقا .

ومن الامثلة على ذلك من التفسير :

« ومن سورة البقرة »

(قال سفيان نزلت اربع ايات من اول سورة البقرة في نعت المؤمنين وثلاث ايات في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين . . . .

قال سفيان : وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤنها على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة (الاية ٧) .

سفيان عن ابي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) قال تطيعون (الآية ٢٢) .

سفيان عن مجاهد (فلا تجعلوا لله اندادا) قال : عدلاء وانتم تعملون يا اهل الكتاب ، تعلمون انه واحد في التوراة والانجيل (الاية ٢٢) .

سفيان في قول الله جل وعز (وقودها الناس والحجارة) قال حجارة من كبريت وقال ابن مسعود كبريت احمر (الاية ٢٤) .

سفيان في قوله (واتوا به متشابها) قال : متشابها : لونه واحدا مختلف طعمه (الآية ٢٥) [١]

« ومن سورة آل عمران »

(سفيان عن سلمه بن نبيط او جوبير عن الضحاك في قوله (هذا الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات) قال : الناسخ ، واخر متشابهات ، المنسوخ (الاية ٧) .

سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن مجاهد قال : الخيل المسومة المطهمة (الاية ١٤) . . .

سفيان في قوله (ريح فيها صر) قال : برد (الاية ١١٧) .

سفيان في قوله الله (بخمسة الاف من الملائكة مسومين) قال معلمين)[٢] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم ـ للامام ابي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ـ رواية ابي جعفر محمد بن ابي حذيفة النهدي عنه ـ صححه ورتبه وعلق عليه : امتياز علي عرشي ـ مدير مكتبة رضاء رامبور ـ الهند ـ طبع باعانة وزارة المعارف لحكومة الهند في هندستان ـ برتنك وركس رامبور ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م . ص ١ .

(٢) تفسير القرآن الكريم ـ سفيان الثوري ص ٣٤ (المصدر السابق) .

الامام الطبري ومنهجه في التفسير

جامع البيان عن تأويل آى القرآن
لابن جرير الطبري

اطيب ثمار مدرسة التفسير هو تفسير الطبري وسأتكلم عنه باختصار اذ لامجال لدراسته دراسة تفصيلية في هذا البحث وسأكتفي بما يثبت نسبته الى مدرسة التفسير بالمأثور .

مؤلفه[1] : ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الاملي الطبري الامام العلم الحافظ .

ولد بآمل طبرستان سنة اربع وعشرين ومائتين من الهجرة ورحل الى بغداد وسكنها واستقر بها .

رحل في طلب العلم الى الشام ومصر ، قرأ القرآن في بيروت على العباس بن الوليد بن يزيد وسمع بمصر من يونس بن عبد الاعلى .

صنف في كثير من العلوم وله تصانيف كثيرة جدا اشهرها واهمها تفسير القرآن (جامع البيان) وكتاب (تهذيب الاثار) وكتاب (تاريخ الامم والملوك) .

قال عنه ابن خزيمة (محمد بن اسحق) ما اعلم على اديم الارض اعلم منه وكان معاصرا له . وقد اجمع العلماء على امامته وسعة علمه وعدوه من المجتهدين بعد ان كان شافعيا وانتشر على يديه المذهب الشافعي ولكنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق

---

(١) طبقات الحفاظ ص ٣٠٧ وطبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي ـ تحقيق علي محمد عمر ـ نشر مكتبة وهبه سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م جـ ٢ ص ١٠٦ .

ولم يصادف مذهبه الظروف التي تنشره او التلاميذالذين يتوارثوه فيكتب له الدوام على ايديهم ، وكان رحمه الله تقيا ورعا عزف عن الوظائف والقضاء . توفي رحمه الله في عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال ودفن يوم الاثنين في داره في بغداد سنة عشرة وثلثمائة . ٣١٠هـ

جامع البيان عن تأويل اي القرآن :

ولم يظهر قبل تفسير الطبري اكبر ولا اجمع ولا اوثق منه وقد وصفه العلماء بانه (لم يصنف احد مثله) .

منهجه في تناول الايات اقرب الى المثالية من اي تفسير اخر حيث يعتمد على تفسير القرآن للقرآن فيستدل على الايات لبعضها ثم يعتمد على تفسير الايات بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على ما روي عن الصحابة الكرام والتابعين فيرجح بين ارائهم اذا اختلفت ويجمع بينها ان قبلت الجمع ولا يترك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان صح عنده ولا يفارق جميع اراء الصحابة ان اختلفوا في مسألة وانمايتخير منها ان كانت الطرق متوازية في الصحة وقوة السند ويرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع آى القرآن ونقلها الصحابة عنه نصا او اشارة .

روى حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قولها : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا ايا تعد علمهن اياه جبريل)[1] وعقب عليه وبرهن على راية في ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع القرآن الكريم بقوله : (ولو كان تأويل الخبر عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يفسر من القرآن شيئا الا ايا تعد هو ما يسبق اليه اوهام اهل الغباء . من انه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من ايه واليسير من حروفه كان انما انزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما انزل اليهم لا يبين لهم ما انزل اليهم وفي امر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما انزل اليه واعلامه اياه انه انما نزل اليه ما انزل

---

(١) تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٧ .

أوردناها من قبل، والتي تدلُّنا بمجموعها على أُصولِ التفسير كما عرضَها الطبري.

وهي تؤكِّدُ ما قلناه من أنَّ منهجَ الطبريِّ في التفسير يوصَفُ بأنه (منهجٌ جامع) وأنه أَصَّلَ علمَ التفسير تأصيلاً منهجياً، وأنَّ هذا التأصيلَ كان يقومُ على ثلاثة أسسس هي: الأثر، واللغة، والاستنباط!.

منهج الإمام الطبري في التفسير:

تحدَّثنا فيما سبقَ عن أحسن طرق التفسير، وبيّنّا توفُّرَها في تفاسير علماء السلف الذين تحدَّثنا عنها فيما سبق، كتفسير ابن عباس، وتفسير الحسن البصري، وتفسير سفيان الثوري.

وأحسنُ طريقِ التفسير تعني المنهجَ الصحيحَ في التفسير، وهو منهجُ التفسير الأثري النظري، وهذا المنهجُ ملحوظٌ في تفسيرِ الطبري، لأن الطبريَّ ألَّفه على قواعدِ هذا المنهج.

والخطواتُ المرحليةُ لمنهج التفسير الأثري النظري هي: تفسيرُ القرآن بالقرآن، ثم تفسيرُ القرآن بالسنة الصحيحة، ثم تفسيرُ القرآن بأقوال الصحابة، والتابعين، ثم تفسيرُ القرآن باللغة، ثم استنباطُ المعاني والدلالات والأحكام.

وهذه الخطواتُ المرحليةُ المنهجيةُ متوفرةٌ في تفسيرِ الطبري، بحيث شكلتْ قواعدَ لمنهجه في التفسير.

١ ـ الطبري يفسر القرآن بالقرآن:

كان الطبريُّ حريصاً على تفسيرِ القرآن بالقرآن، واستحضارِ الآياتِ الأخرى في نفس الموضوع، وله في هذا مقدرةٌ فائقة، فهو حافظٌ لكتاب الله، وهو متدبِّرٌ له، متعمِّقٌ في فهمه، متشبِّعٌ به، يُحسنُ تذكُّر واستحضارَ الآيات.

وهو يفعلُ ذلك لأنه يعلمُ أنَّ القرآنَ يفسِّرُ بعضُه بعضاً. يقولُ في مقدمته:

«اللهمَّ فوفِّقنا لإصابةِ صوابِ القولِ في محكمِه ومتشابهه، وحلالِه وحرامه، وعامِّه وخاصِّه، ومُجْمَلِه ومفسَّرِه، وناسخِه ومنسوخِه. وظاهرِه وباطنه، وتأويل

آيه، وتفسيرِ مشكلِه، وألْهِمْنا التمسكَ به، والاعتصامَ بمحكمِه، والثباتَ على التسليم لمتشابهه»[1].

وقد امتلأَ تفسيرُ الطبري بالآياتِ المفسَّرة التي فسَّرَ الطبريُّ بها الآيات التي بين يديها. وكان الأستاذُ محمود شاكر رحمه الله يعملُ جدولاً بهذه الآيات في كلِّ جزءٍ من أجزاءِ التفسير التي نشرها، وكان الجدولُ يزيد على خمس صفحات أحياناً!!.

ونورد على ذلك هذا المثال:

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وجَّهَ الطبريُّ حكمةَ نسبةِ بني إسرائيل إلى أبيهم إسرائيل ـ يعقوب ـ عليه السلام، في قوله: «يا بني إسرائيل». وقال في ذلك: «نَسَبهم اللهُ إلى يعقوب، كما نسبَ ذريةَ آدم إلى آدم في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

وأوردَ قول أبي العالية ومجاهد وابن زيد في المراد بالنعمة في قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ وأنها تشملُ النعمَ عامّة، وأهمُّ ما تنطبقُ عليه نعمةُ الإيمان والإسلام لأنه لا نعمة أفضلُ من الإسلام، والنعمُ الأُخرى تابعةٌ لها. واستشهدَ على هذا بقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

واعتبرَ تذكيرَ الله بني إسرائيل بنعَمِهِ عليهم في هذه الآية على لسانِ رسول الله ﷺ، كتذكيرِ اللهِ بني إسرائيل بذلك على لسان موسى عليه السلام، واستشهدَ على هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

---

(١) تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ١/ ٦؛ وطبعة الفكر: ١/ ٤ ـ ٥.

ولما فسَّرَ عهدَ الله في الآية: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ اعتبر المرادَ به في الآية عهدَه إلى بني إسرائيل الذي أخذه عليهم في التوراة، من الإيمان بمحمدٍ ﷺ واتِّباعه.

واستشهدَ على ذلك بآيات القرآن: قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧][1].

٢ ـ الطبري يفسر القرآن بالسنة:

كان الطبريُّ يفسرُ القرآنَ بأحاديثِ رسول الله ﷺ، ويوردُ تلك الأحاديثَ بأسانيدها، ويذكرُ طُرُقَ كلِّ روايةٍ مهما تعدَّدَت واختلفت.

ولما قمتُ بتهذيبِ تفسيرِ الطبري، وقام الأخ إبراهيم العلي بتخريج الأحاديث المرفوعةِ إلى النبي ﷺ في التهذيب، بَلَغَتْ تلكَ الأحاديثُ سبعمئة حديث بالتمام، وهذه أحاديثٌ منتقاةٌ من وسطِ أحاديث كثيرة، منها الصحيحُ المكرر، ومنها الحسن، ومنها الضعيف، ومنها المردود، وهذه الرواياتُ تربو على آلاف!.

---

(١) تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٨؛ وطبعة الفكر: ١/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

ونوردُ على تفسيرِه القرآنَ بالحديثِ هذا المثال:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

لما فَسَّرَ قولـه: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فَسَّرَهُ بحديث رسول الله ﷺ الذي يُخبرُ فيه أنَّ مَنْ غَلَّ وخانَ وسرقَ شيئاً فإنه يأتي حاملاً له يومَ القيامة.

روى بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله قامَ خطيباً، فوعَظَ وذكَّرَ، ثم قال: ألا عسى رجلٌ منكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبتِه شاةٌ لها ثُغاء (صوت الشاة)، يقول: يا رسولَ الله أَغِثْني! فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبلغتُك! ألا هل عسى رجلٌ منكم يجيءُ يومَ القيامة على رقبته فرسٌ لها حَمْحَمَة (صوت الفرس)، يقول: يا رسول الله: أغِثْني! فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبلغتُك! ألا هل عسى رجلٌ منكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته صامِتٌ (ذهب وفضة)، فيقول: يا رسولَ الله أَغِثْني! فأقول: لا أملكُ لك شيئاً قد أبلغتُك! ألا هل عسى رجلٌ منكم يجيء يومَ القيامة على رقبته رِقاعٌ تَخْفِق (ثياب تلوح)، يقول: يا رسولَ الله: أَغِثْني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً! قد أبلغتُك!»[1]

وأوردَ طريقيْن آخرين لهذا الحديث بإسنادين مختلفين.

وروى بإسنادِه عن أبي حميد الساعديِّ رضي الله عنه قال: استعملَ رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأَزْد، يقال له: (ابنُ الأُتْبِيَة) على صدقاتِ بني سليم. فلمّا جاءَ قال: هذا لكم، وهذا هديةٌ أُهديتْ لي!.

فقالَ رسول الله ﷺ: أفلا يجلسُ أحدكمُ في بيته، فتأتيه هديتُه! ثم حمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإني أستعملُ رجالاً منكم على أُمورٍ مما ولاَّني

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٠٧٣؛ ومسلم برقم: ١٣٨١؛ وأحمد: ٢/ ٤٢٦؛ وانظر تهذيب تفسير الطبري: ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

الله، فيقول أحدهم: هذا الذي لكم، وهذا هديةٌ أُهديت إليّ، أفلا يجلسُ في بيتِ أبيه أو في بيت أُمه، فتأتيه هديتُه؟.

والذي نفسي بيده لا يأخذُ أحدُكم من ذلك شيئاً إلاّ جاءَ به يومَ القيامة يحملُه على عنقِه، فلا أعرِفنَّ ما جاء رجل يحملُ بعيراً له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار، أو شاةً تَيْعَر (تصيح بصوت عال). ثم رفعَ يدَه فقال: ألا هل بلَّغْت!؟»[1].

وأوردَ طريقين آخرين لحديث أبي حميد الساعدي عن (ابن الأُتْبِيَة).

ومجموعُ طرقِ ورواياتِ الأحاديث التي أَوردها الطبري في تفسير قوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثلاثَ عشرةَ طريقاً ورواية! وهذا عدد كبير![2].

٣ ـ الطبري يفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

كان الطبريُّ يفسرُ القرآنَ بأقوالِ الصحابة والتابعين، ويُكثرُ منها، وتفسيرُه حاوٍ للكثيرِ من أقوالهم وتفاسيرهم.

وكان يوردُ أقوالَهم مسندة، ويوردُ أكثرَ من طريقٍ للقول الواحد، وإذا اختلفتْ أقوالُ الصحابة والتابعين في التفسير كان يوردُها ويذكرُ أدلتهم وبراهينَهم، ويرجحُ الراجحَ المناسبَ منها، ويستدلُّ له.

ونوردُ على هذا مثالاً:

تفسير قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ذكرَ الطبريُّ اختلافَ الصحابةِ والتابعين في تعيين الصلاة الوسطى:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٩٤٦؛ والبيهقي في السنن: ٧/ ١١٦؛ وأحمد في مسنده: ٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٢) انظر تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ٧/ ٣٥٦ ـ ٣٦٤؛ وتهذيب تفسير الطبري: ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٣.

١ ـ فقال بعضُهم: هي صلاةُ العصر.

وهذا قولُ عليِّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري، وعائشة، وأم سلمة، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وزر بن حبيش، وقتادة، والضحاك، ومجاهد.

والآثارُ التي أوردها كانت ثلاثة وأربعين أثراً، كلُّها مسندة![1].

وذَكَرَ حجة هذا القول، وهي حديثٌ مرفوع.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: شَغَلَ المشركونَ رسول الله ﷺ عن صلاةِ العصر حتى اصفرَّت الشمسُ أو احمرَّت. فقال ﷺ: «شَغلونا عن الصلاةِ الوسطى: صلاةِ العصر، ملأَ اللهُ أجوافَهم وقبورَهم ناراً»[2].

وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبتِ الشمس، ملأَ اللهُ قبورَهم وبيوتَهم ناراً»[3].

وأوردَ ستاً وعشرين طريقاً ورواية لهذه الأحاديثِ المرفوعة التي يصرِّحُ فيها رسولُ الله ﷺ بأنَّ الصلاةَ الوسطى هي صلاةُ العصر[4].

٢ ـ وقال آخرون: الصلاةُ الوسطى صلاةُ الظهر.

وهذا قولُ زيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر. وأوردَ ثلاثَ عشرةَ روايةً وطريقاً لهذا القول[5].

---

(١) تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ٥/ ١٦٨ ـ ١٨٢.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٦٢٨؛ والترمذي برقم: ١٨١؛ وابن ماجه برقم: ٦٨٦؛ وأحمد: ١/ ٣٩٢.

(٣) أخرجه البخاري برقم: ٢٩٣١، ومسلم برقم: ٦٢٧؛ وأبو داود برقم: ٤٠٩؛ والترمذي برقم: ٢٩٨٤.

(٤) تفسير الطبري تحقيق شاكر: ٥/ ١٨٢ ـ ١٩٨.

(٥) المرجع السابق: ٥/ ١٩٨ ـ ٢٠٧.

تفسير القرآن الكريم

عطية العوفي(توفي ١١١هـ)

عطية بن سعد ابن جُنادة العوفي الجدلي القيسي ، أبو الحسن الكوفي ، .

وُلد(بعد ٣٥ هـ - وتوفي ١١١ هـ) في خلافة الإمام علي رضي الله عنه.

نبذه من حياته :

كان محدثاً ، فقيهاً ، مفسّراً ، شيعياً خلداً . من مشاهير التابعين. أخذ عنه أبان بن تغلب ، وخالد ابن طهمان ، وزياد بن المنذر ، كما ذكره النجاشي في تراجم هؤلاء . قال ابن قتيبة . كان عطية بن سعد فقيهاً في زمن الحجاج ، وكان يتشيع . وقد ضعّف عطية العوفي جماعة ، منهم : النسائي وأبو حاتم السجستاني .

فقد أكدوا أنّه كان يُعدّ من شيعة أهل الكوفة ، وأنّه كان يتشيع ، وممّا يُعضد ما ذهبنا إليه قول الساجي فيه : ليس بحجة وكان يقدّم علياً على الكل

واستقر في خراسان بقية أيام الحجاج ، فلما ولي العراق عمر بن هُبيرة أذن له في القدوم فعاد إلى الكوفة .

أثارهُ :

ولعطية العوفي تفسير القرآن الكريم ، وقيل إنّ تفسيره في خمسة أجزاء .

وفاته :

توفّي بالكوفة - سنة احدى عشرة ومائة ، وقيل : - سنة سبع وعشرين ومائة .*

رواية العوفي عن ابن عباس

ومن الأسانيد عن عبد الله بن عباس:

رواية " عطية العوفي ". وهذا الإسناد إليه يُرْوى من طريق واحدة، قد أسنده ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره، وهو من حديث محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي يقول: حدثنا أبي، قال: حدثنا عمي، قال: حدثنا أبي عن أبيه عطية العوفي، عن عبد الله بن عباس.

وهذا الإسناد صحيح، ما لم ينفرد بحكم وأصل، وإن كان الرواة ممن ضعفهم الأئمة، وعلى رأسهم عطية، ولكنهم في التفسير عن عبد الله بن عباس حديثهم من كتاب، وتسمى صحيفة عطية العوفي في التفسير، وفيها أحاديث مسندةٌ كثيرة في التفسير عنه، بل فيها نحو ربع ما يروى عن ابن عباس في باب التفسير.

ومن المهم جدًا العناية بالنُّسَخ والأجزاء والصحف التي تروى في التفسير، ولو اعتنى وانبرى لها من يجيد النظر في الأسانيد على منهاج الأئمة النقاد، وميز المنكر من الأقوال من غيرها حتى يحكم على أمثال هذه الأجزاء، لكان في ذلك نفع كبير، ويعطي معرفة بالرواة الذين يقع لديهم الوهم والغلط عن غيرهم من الحفاظ الأثبات. وقد اعتنى الأئمة بالأجزاء الحديثية، ولم يعتنوا بالأجزاء والنسخ في التفسير كما اعتنوا بها، بل يحكُونها هكذا من غير جمع، فلو جُمِعَت وأُخْرِجَ ما يتعارض مَعَ ظواهر الأدلة من الكتاب والسنة، وما يُحْمَل على الشاذ، لبان فضلُ كثيرٍ منها مما يطَّرِحُه المتأخرون، ولا يعتنون به، ويُعلُّونه بعلل مدفوعة.

وما ينفرد فيه العوفيُّ ويخالف ثقات أصحاب عبدالله بن عباس، فإنه يُرَد، وهذا ما بينه البيهقي في "معرفة السنن والآثار"، فقال عمَّا رُوي عن ابن عباس من أن الفداء منسوخ بقوله: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)، قال: فإنه لم يبلغني عنه بإسناد صحيح، إنما هو عندي في تفسير عطية العوفي برواية أولاده عنه، وهو إسناد ضعيف أ.هـ.

تفسير العياشي

محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ).

من أقدم التفاسير الروائية الشيعية، ألّفه أبو النظر محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ). هو من كبار محدثي الشيعة ومعاصر للكليني.

وهذا الكتاب يضمّ تفسير كل القرآن الكريم إلا أنّ المتبقى هو من سورة الحمد إلى سورة الكهف ، وما يميز تفسير العياشي عن سائر التفاسير الروائية في القرون الأولى هو اهتمام العياشي بالمسائل الفقهية في آيات الأحكام. كما كان العياشي يعنى بالمسائل الكلامية والفرق الشيعية وغير الشيعية في التفسير ويأتي بروايات تتعلّق بها.

من سمات تفسير العياشي هي حذف أسانيد الروايات.

التعريف بالكتاب

تفسير العياشي من التفاسير الشيعيّة القديمة (٢٦٠ ــ ٣٢٩هـ) والجانب الروائي غالب عليه كباقي مؤلفات الإمامية في تلك الفترة .ونظرا لاهتمام العياشي بالمسائل الفقهية في تفسيره نجد أنّ المفاهيم الفقهية بارزة في هذا التفسير بالنسبة إلى باقي التفاسير الإمامية القديمة كتفسير فرات الكوفي وتفسير القمي .

فقدان أجزاء من الكتاب

أصل هذا الكتاب في مجلدين، وكان لدى علماء التفسير وكان ينقلون عنه. نقل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ما يقارب ٣٠ رواية من تفسير العيّاشي، ونقل الشيخ الطبرسي من كلا المجلدين حوالي ٧٠ حديثاً. ويقول العلامة المجلسي أنني شاهدت نسختين قديمتين لهذا التفسير .ولا نجد بعد فترة العلامة المجلسي أثراً من القسم الثاني ويشير أغا بزرك الطهراني إلى ست نسخ مخطوطة ومطبوعة من القسم الأول لهذا الكتاب. وقد أصيب الكتاب من جهتين:

أحدهما: أن جل رواياته كانت مسندة فاختصره بعض النساخ بحذف الأسانيد وذكر المتون فالنسخة الموجودة الآن مختصر التفسير.**والثانية:** ان الجزء الثاني منه صار مفقودا بعده حتى أن أرباب التفاسير الروائية والمحدثين لم ينقلوا منه الا ما في جزئه الأول من الروايات كالبحراني في تفسير البرهان والحويزي في نور الثقلين والكاشاني في الصافي والمجلسي في البحار

وتفسير العيّاشي من التفاسير التي تعتمد على الرواية ، وقد بلغت رواياته في

النصف المطبوع «٢٦١٧» رواية تقريبا[1] . ويتّسم بالتفسير الباطني ، والقول بتحريف القرآن ، والطعن في الصحابة الكرام ، والغلوّ في الأئمة .

ولهذا التفسير شأن كبير لدى الطائفة الشيعية الاثني عشرية ؛ ولذلك أكثرت كتب التفسير بعده من النقل عنه ، والاحتجاج بما جاء فيه من روايات . وتتّضح مكانته لديهم من خلال مايلي :

أولًا : ثناؤهم على التفسير ومؤلفه .

ثانيا : أنّ أبرز مصنفيهم جعلوا من تفسير العياشي مصدرًا من مصادر كتبهم التي صنّفوها .

فأما الثناء على التفسير ومؤلفه ؛ فمن ذلك :

- ما قاله محمد بن حسين الطباطبائي صاحب كتاب «الميزان في تفسير القرآن» في مقدمة تفسير العياشي : «وقد بعث الله رجالا من أولى النهى والبصيرة ، وذوي العلم والفضيلة على الاقتباس من مشكاة أنوارهم -يقصد آل البيت- والأخْذ والضبط لعلومهم وآثارهم ، وإيداع ذخائرها في كتبهم ، وتنظيم شتاتها في تأليفهم ؛ ليذوق بذلك الغائب من منهل الشاهد ، ويرد به اللاحق مورد السابق . وإن أحسن ما ورثناه من ذلك كتاب التفسير المنسوب إلى شيخنا العياشي» . ثم يقول : «فهو -لعمري ! - أحسنُ كتابٍ أُلّف قديمًا في بابه ، وأوثقُ ما ورثناه من قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالمأثور . أما

الكتاب فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا - ويقرب من أحدَ عشرَ قرنًا - بالقبول ، من غير أنْ يُذكَر بقدحٍ ، أو يغمض فيه بطرفٍ» [1].

- ويقول النجاشي : «محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي ، السمرقندي ، أبو النضر ، المعروف بـ العياشي ، ثقةٌ ، صَدوقٌ ، عينٌ من عيون هذه الطائفة ...» [2].
- ويقول عنه الطوسي في الفهرست : «محمد بن مسعود العياشي ، من أهل سمرقند ، وقيل : إنه من بني تميم ، يكنى أبا النضر ، جليلُ القدْر ، واسعُ الأخبار ، بصيرٌ بالروايات ، مطَّلعٌ عليها» [3].

ومن أبرزِ مصنّفي الشيعة الذين جعلوا تفسير العياشي مصدرًا من مصادر كتبهم التي صنفوها :

- تفسير مجمع البيان ، للفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة «٥٤٨ هـ».
- تفسير الصافي ، للفيض الكاشاني الذي توفي سنة «١٠٩١ هـ».
- تفسير البرهان ، لهاشم البحراني الذي توفي سنة «١١٠٧ هـ» [1].
- تفسير الميزان ، محمد بن حسين الطباطبائي توفي سنة «١٤٠٢ هـ» [2].